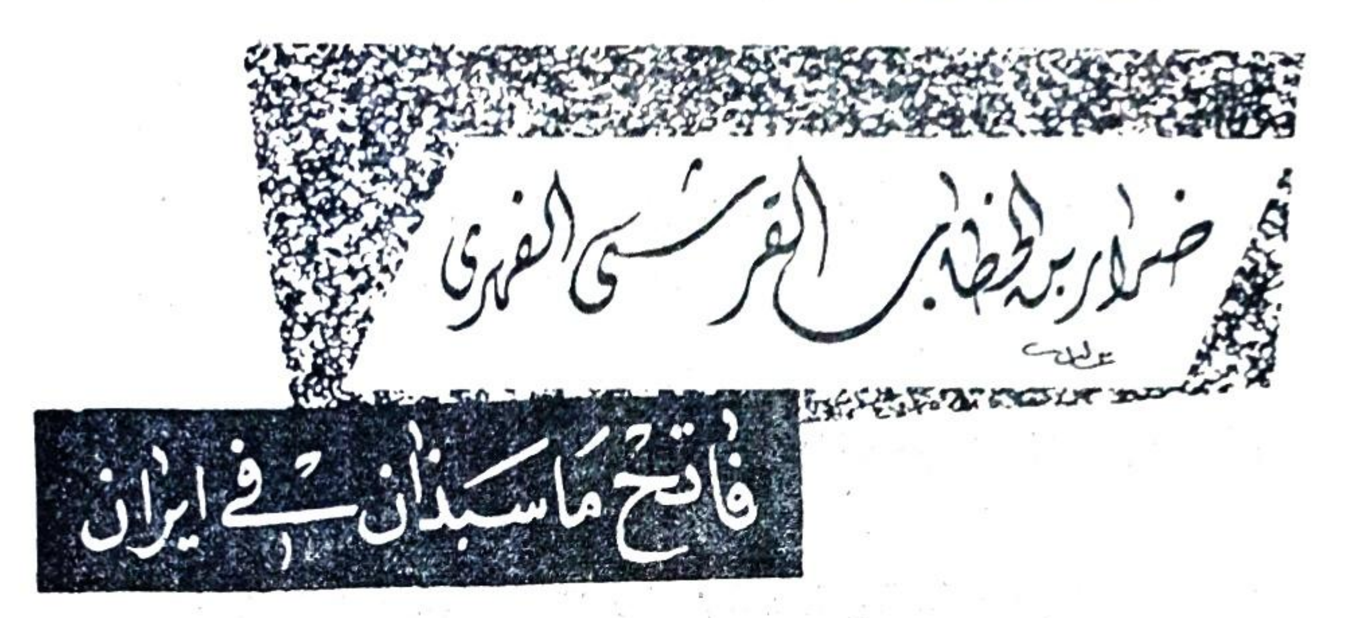
المجلة العسكرية

قادة الفتح الاسلامي



اللواء الركن
محمود شيت خطاب
عضو المجمع العلمي

١٣٨٣ هجرية
١٩٦٤ ميلادية



اللواء الركن
محمود شيت خطـاب
عضـو المجمع العلمي

نسبه وأيامه في الجاهلية :

هـو ضرار بن الخطـاب بن مرداس بن كثير بن عمرو بن حبيب بن عمرو ابن شيبان بن محارب بن فهر القرشي الفهري[1] .

كان أبوه الخطاب بن مرداس رئيس بني فهر في زمانه ، وكان يأخذ المرباع لقومه ، وكان ضرار بن الخطاب يوم الفجـار على بني محارب بن فهر ، وكان من فرسان قـريش وشجعانهم وشعرائهم المطبوعين المجودين ، حتى قالوا : ضرار بن الخطاب فارس قريش وشاعرهم[3] .

---

(١) ماسبذان : مدن عدة منها : أريوجان ، وهي مدينة حسنة في الصحراء بين الجبال ، ومدينة الرذ والسيروان . انظر التفاصيل في معجم البلدان(٧/٣٦٣) وهي منطقة واسعة أطلق عليها اسم مدينة : ماسبذان ، وهي مدينة مشهورة بقرب السيروان كثيرة الشجـر . انظر آثار البلاد وأخبار العباد ص (٢٦٠) وقد ورد اسمها في هذا المصدر : ماسبدان بالدال بدلا عن الذال. وهي تقع في وسط الطريق بين حلوان وجنديسابور .

(٢) الاستيعاب (٢/٧٤٨) وأسد الغابة (٣/٤٠) مع اختلاف في الاصابة (٣/٢٧٠)

(٣) الاستيعاب (٢/٧٤٨) وأسـد الغابة (٣/٤٠) . والمرباع : الربع. والمعشار: العشر . ويأخذ المرباع لقومه ، أي يأخذ لهم ربع أموال بعض الناس دلالـة على عزته .

قاتل المسلمين أشد القتال[٤] : قاتلهم يوم (بدر) قتالا مريرا ورثى قتلى قريش في (بدر) رثاء حارا[٥] وقاتلهم يوم (أحد) فلحق عمر بن الخطاب وجعل يضربه بعرض الرمح ويقول : « انج يا ابن الخطاب لا أقتلك » فكان عمر بن الخطاب يعرفها له بعد اسلامه[٦] ؛ وهذا يدل على حبه لعمر بن الخطاب وتقديره له على الرغم من اختلافهما بالعقيدة ، ولولا ذلك لقتله كما قتل غيره من المسلمين ؛ فقد اختلف الاوس والخزرج فيمن كان أشجع يوم (أحد) ، فمر بهم ضرار فقالوا : هذا شهدها وهو عالم بها ، فسألوه عن ذلك فقال : « لا أدرى ما أوسكم من خزرجكم ، ولكني زوجت منكم يوم (أحد) أحد عشر رجلا من الحور العين »[٧] .

وقاتل المسلمين يوم (الخندق) ، فكان أحد الاربعة الذين وثبوا الخندق[٨] ، وكان أحد قادة قريش يوم (الخندق) يهاجم مواضع المسلمين بين حين وآخر ويجعل خيله فيها ويناوش أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقدم رماته فيرمون[٩] .
قال ضرار يوما لابى بكر الصديق : « نحن خير لقريش منكم : أدخلناهم الجنة وأنتم أدخلتموهم النار »[١٠] ؛ يريد : انه قتل المسلمين فدخلوا الجنة ، وقتل المسلمون الكفار من قريش فأدخلوهم النار .

والحق أنه كان شديد العداوة للدين الحنيف ، فكان عنيفا في خصومته له ولمعتنقيه ، ولولا ان الاسلام يجب ما قبله لكان حسابه عند الله عسيرا .

---

(٤) الاصابة (٣/٢٧٠) .
(٥) سيرة ابن هشام (٢/٣٧٧) .
(٦) سيرة ابن هشام (٢/٢٥) .
(٧) اسد الغابة (٣/٤٠) والاستيعاب (٢/٧٤٩) .
(٨) اسد الغابة (٣/٤٠) والاستيعاب (٢/٧٤٨) وفي طبقات ابن سعد (٢/٦٨) ان الذين عبروا الخندق كانوا خمسة رجال لا اربعة وهم : عكرمة بن ابي جهل، وهبيرة بن أبي وهب ، وعمر بن عبد ود ، ونوفل بن عبدالله ، وضرار بن الخطاب .
(٩) طبقات ابن سعد (٢/٦٧) .
(١٠) الاصابة (٣/٢٧٠) والاستيعاب (٤/٧٤٩) .

اســـلامه :

أسلم ضرار يوم فتح مكة[١١] فحسن اسلامه ، فلما التحق الرسول صلى الله عليه وسلم بالرفيق الاعلى وارتدت العرب ، ثبت ضرار وأهل مكة على الاسلام ، فكان أهل مكة من الدعامات القوية التي دافعت عن حياض الاسلام .

جهـــاده :

شهد ضرار يوم (اليمامة) تحت راية خالد بن الوليد[١٢] ؛ فلما انتهت حروب الردة توجه خالد الى العراق وكان ضرار مع قوات خالد ، فشهد كل معارك العراق التي خاضها خالد هناك[١٣]، وكان هو الذي حاصر قصر (الغريين) في فتح الحيرة[١٤]. وتحرك ضرار مع خالد الى أرض الشام بعد نقله اليها من العراق ، فقد كان ضرار من جملة من أختاره خالد ليعاونه في مهمته الجديدة[١٥] ، فشهد تحت لواء خالد كافة معاركه في طريقه من العراق الى أرض الشام ، كما شهد معه معركة (اليرموك) الحاسمة ، وشهد مع أبي عبيدة بن الجراح فتح الشام[١٦] .

وعاد ضرار الى العراق مع هاشم بن عتبة الزهري فشهد (القادسية) وفي هذه المعركة غنم ضرار علم الفرس الاكبر ، فعوض منه ثلاثين ألفا ، وكانت قيمته ألف ألف ومائتي ألف[١٧] .

---

(١١) طبقات ابن سعد (٥/٤٥٤) والاستيعاب (٢/٧٤٨) .

(١٢) الاصابة (٣/٢٧٠). وفي طبقات ابن سعد (٥/٤٥٤) : انه خرج الى اليمامة فقتل بها شهيدا . وهذا خطأ ،والذي قتل يوم اليمامة هو ضرار بن الازور . انظر ابن الاثير (٢/١٤٠) والاستيعاب (٢/٧٤٨) ، كما استشهد يوم اليمامة زيد بن الخطاب اخو عمر بن الخطاب . انظر الطبري (٢/٥١١) وطبقات ابن سعد (٣/٣٧٦) والاصابة (٣/٢٧) واسد الغابة (٢/٢٢٨) والاستيعاب (٢/٥٥٠) .

(١٣) الطبري (٢/٥٦٥) .

(١٤) ابن الاثير (٢/١٤٩) .

(١٥) الطبري (٢/٦٠٥) .

(١٦) أسد الغابة (٣/٤٠) . وذكر ابن الاثير في (٢/١٦٠) : انه استشهد في معركة (اجنادين) مع أن ابن الاثير نفسه في (٢/٢٠٣) ذكر : انه فتح ماسبذان !

(١٧) ابن الاثير (٢/١٨٦) .

وشهد ضرار فتح (المدائن)[١٨] القديمة على الضفة الغربية من النهر، فلما رأى ضرار من المدائن القديمة ايوان كسرى فى الضفة المقابلة من النهر، نادى بأعلى صوته «الله أكبر! هذا أبيض كسرى .. هذا ماوعد الله ورسوله»، وكبر ضرار وكبر الناس معه[١٩] .

وشهد ضرار تحت لواء هاشم بن عتبة الزهرى معركة (جلولاء)، فلما رجع هاشم منتصرا من (جلولاء) الى (المدائن) بلغ سعد ابن أبى وقاص، أن الهرمزان قد جمع جمعا من القوات الفارسية فى سهل (ماسبذان)، فكتب بذلك الى عمر بن الخطاب، فكتب عمر: «ابعث اليه ضرار بن الخطاب فى جند، وأجعل على مقدمته الهذيل الاسدى وعلى مجنبتيه عبدالله بن وهب الراسبى حليف (بجيلة) والمضارب بن فلان العجلى»[٢٠]، فخرج ضرار بمن معه حتى انتهى الى سهل (ماسبذان) والتقى بالفرس . وأسرع المسلمون فى الهجوم على الفرس وأخذ ضرار قائدهم أسيرا فانهزم عنه جيشه وتفرقوا فى الجبال المحيطة بالمنطقة، فدعاهم ضرار فاستجابوا له. وأقام ضرار بماسبذان حتى تحول سعد بن أبى وقاص من المدائن الى الكوفة، فأرسل الى ضرار فنزل الكوفة وأستخلف على (ماسبذان)[٢١]؛ وقد كان فتح ماسبذان بعد فتح (حلوان)[٢٢] .

الشاعر :

كان ضرار من شعراء قريش المطبوعين المجودين[٢٣] ولم يكن فى قريش

---

(١٨) أسد الغابة (٢/٢٧٠) .

(١٩) ابن الاثير (٢/١٩٧) .

(٢٠) الطبرى (٣/١٤٣) .

(٢١) ابن الاثير (٢/٢٠٣) ومعجم البلدان (٧/٣٦٤) .

(٢٢) حلوان : هناك حلوان العراق، وهى مدينة عامرة ليس فى أرض العراق بعد البصرة والكوفة وبغداد وواسط وسامراء والحيرة مدينة أكبر منها . وهى بقرب الجبل (الجبل الواقع على حدود العراق - ايران حاليا) وليس بالعراق مدينة قرب الجبل غيرها . انظر المسالك والممالك ص (٦١) . وحلوان بلاد الجبال (فى ايران حاليا)، فهى مدينة فى سفح الجبل المطل على العراق. انظر المسالك والممالك ص (١١٨) انظر التفاصيل فى معجم البلدان (٣/٣٢٢) أقول : وحلوان العراق اليوم أطلال دوارس تقع بين جلولاء وخانقين .

(٢٣) أسد الغابة (٣/٤٠) .

أشعر منه[٢٤] . كان عبدالرحمن بن عوف فى طريقه الى مكة ، فقال لرجل : « غننا ! » فقال عمر بن الخطاب: «ان كنت آخذا فعليك بشعر ضرار بن الخطاب»[٢٥] مما يدل على اعجاب الناس – وعلى رأسهم عمر بن الخطاب – بشعر ضرار المتين .

وشعره الذى بين أيدينا كثير لا مجال لذكره هنا ، وسنورد بعض ما قاله فى الجاهلية وفى اسلامه وفى فتوحاته كنماذج فقط لشعره الرائع .

فمن شعره فى الجاهلية ، قوله فى مدح أم غيلان التى أراد قومها قتل ولدها غيلان فقامت دونه وخلصته من القتل[٢٦] :

جزى الله عنا أم غيلان صالحاً ... ونسوتها اذ هن شعث عواطل[٢٧]
فهن دفعن الموت بعد اقترابه ... وقد برزت للثائرين المقاتل
دعت دعوة (دوساً) فسالت شعابها ... بعز وأدتها الشراج القوابل[٢٨]
وعمرا جزاه الله خيرا فما ونى ... وما بردت منه لدى المفاصل[٢٩]
فجردت سيفى ثم قمت بنصله ... وعن أى نفس بعد نفسى أقاتل[٣٠]

وقال يخاطب النبى صلى الله عليه وسلم بعد الفتح[٣١] :

يانبى الهدى اليك لجا ... حى قريش وأنت خير لجاء
حين ضاقت عليهم سعة الار ... ض وعاداهم اله السماء

---

(٢٤) الاصابة (٣/٢٧٠) .
(٢٥) الاصابة (٣/٢٧٠) .
(٢٦) سيرة ابن هشام (٢/٢٤) . وانظر القصة كاملة فى الاصابة (٣/٢٧٠) . وانظر نماذج من شعره قبل اسلامه فى سيرة ابن هشام (١/٤٨) و (٢/٥٩) و (٢/٣٧٧) و (٢/٣٩٧) و (٣/١٠٢) و (٣/١١٢) و (٣/١٥٠) و (٣/٢٧٥)
(٢٧) الشعث : جمع شعثاء ، وهن المتغيرات الشعور . والعواطل : جمع عاطلة ، وهى التى لا حلى لها .
(٢٨) دوس : اسم قبيلة عربية . والشعاب : جمع شعب . والشراج : جمع شرجة، وهى مسيل الماء من الحرة الى السهل . والقوابل : التى تقابل بعضها بعضا .
(٢٩) ونى : برد وفتر .
(٣٠) نصل السيف : حده .
(٣١) أسد الغابة (٣/٤٠) والاصابة (٤/٢٧٠) والاستيعاب (٢/٧٤٨) وتمام القصيدة في ترجمة سعد بن عبادة . انظر الاستيعاب (٢/٥٩٨) .

والتفت حلقتا البطان على القوم ونودوا بالصيلم الصلعاء
ان سعدا يريد قاصمة الظهر بأهل الحجون والبطحاء

وقال في أسر قائد الفرس في معركة (ماسبذان)[32] :

ويوم حبسنا قوم (آذين) جنده وقطراته عند اختلاف العوامل
وزرد وآذينا وفهدا وجمعهم غداة الوغى بالمرهفات الصواقل
فجاءوا الينا بعد غب لقائنا بماسبذان بعد تلك الزلازل

لقد كان ضرار شاعرا فحلا ، لا تقل شهرة شعره عن شهرة فتوحاته •

الانسان :

لا نعلم شيئا عن أعمال ضرار العامة بعد الفتح ، فقد سكت عنه التأريخ سكوتا مطبقا ــ بعد أن كان ملأ السمع والبصر شاعرا وفارسا وفاتحا •

لقد كان في الجاهلية رئيسا لقومه ، ورث الرئاسة عن أبيه ، ولكنه كان أهلا لها ؛ فقد كان شاعر قريش كلها دون منازع تفخر به بين العرب ، وكان شجاعا يحمي الذمار كريما مضيافا وفيا شهما غيورا •

وكان في جاهليته عنيفا في عداوته للمسلمين : حاربهم بلسانه وسيفه حربا لا هوادة فيها ؛ ولكنه بعد اسلامه سخر لسانه وسيفه لحماية الاسلام ولنشره في البلاد •

وقد اختلف المؤرخون في موعد موته ، فذكر بعضهم أنه قتل في اليمامة شهيدا[33] وهذا غير صحيح بالطبع ، لانه عاش وشهد المعارك التي ذكرناها جنديا وقائدا في عهد عمر بن الخطاب ، وقد قال عمر لام جميل التي حمت ضرارا من القتل في أيام الجاهلية ، وقد أتته وهي ترى أنه أخو ضرار : « اني لست بأخيه الا في الاسلام ، وهو غاز وعرفت منتك[34] عليه »[35] •

---

(٣٢) معجم البلدان (٧/٣٦٤) •
(٣٣) الاصابة (٣/٢٧٠) وطبقات ابن سعد (٥/٤٥٤) •
(٣٤) المنة : يريد بها يدها عنده ونعمتها عليه •
(٣٥) سيرة ابن هشام (٢/٢٥) •

وذكر بعضهم أنه قتل شهيدا في معركة (اجنادين)[٣٦] ، وهذا غير صحيح أيضا ، لان هذه المعركة كانت في سنة ثلاث عشرة للهجرة[٣٧] ، وفي رواية أخرى: انها كانت في سنة خمس عشرة للهجرة[٣٨] ؛ بينما شهد ضرار معارك كثيرة كانت بعد هذين التاريخين كما أسلفنا ـ يكفي أن نذكر : انه كان قائد المسلمين يوم فتح (ماسبذان) التي كانت سنة ست عشرة للهجرة[٣٩] .

والثابت انه كان حيا سنة سبع عشرة للهجرة (٦٣٨ م) ، اذ أن سعد بن أبي وقاص استدعاه فنزل الكوفة ، وكان قبل ذلك واليا على (ماسبذان)[٤٠] ، ثم انقطعت أخباره بعد هذا التاريخ . والظاهر أنه توفي حوالي سنة سبع عشرة للهجرة أو بعدها بقليل ، اذ أنه شهد حرب الفجار التي كانت بعد عام الفيل بعشرين سنة[٤١] ، وعام الفيل كان سنة (٥٧٠ م) لان النبي صلى الله عليه وسلم ولد في عام الفيل ، وقد كان ضرار في حرب الفجار قائدا لعشيرته ، ومعنى ذلك أنه كان كبير السن يوم الفجار لا يقل عمره عن العشرين عاما ، فليس من المعقول أن يطول عمر ضرار أكثر من حوالي سنة سبع عشرة للهجرة ، لذلك أرجح أنه توفي حوالي سنة سبع عشرة للهجرة (٦٣٨ م) .

القائد :

كان ضرار من فرسان قريش وشجعانهم[٤٢] ، وأبرز ما في قيادته شجاعته الفائقة التي تستهين بالاخطار .

وكان في شجاعته واقدامه مثالا رائعا لرجاله ، يثير نخوتهم ببطولته الشخصية النادرة وبشعره الحماسي المتين ؛ وقد ظهر أثر لسانه وسيفه واضحا عندما قاد

(٣٦) ابن الاثير (٢/١٦٠) وقد اعتمد ذلك الزركلي صاحب الاعلام ، فذكر في (٣/٣١٠) الطبعة الثانية : أنه استشهد في اجنادين .

(٣٧) ابن الاثير (٢/١٦٠) .

(٣٨) ابن الاثير (٢/١٩٣) والطبري (٣/ ١٠١) .

(٣٩) الطبري (٣/١٤٢) وابن الاثير (٢/٢٠٣) .

(٤٠) الطبري (٣/١٤٣) .

(٤١) ابن الاثير (١/٢١٤) .

(٤٢) أسد الغابة (٣/٤٠) والاستيعاب (٢/٧٤٨) .

جيشا من المسلمين لفتح منطقة (ماسبذان)، اذ لم يكد يعرف موضع القطعات الفارسية الا وانقض عليهم بسرعة خاطفة وانقض هو بنفسه على قائد الفرس فأخذه أسيرا ، فانهارت مقاومة الفرس سريعا وتركوا ساحة المعركة هاربين !

ان مفتاح مزايا قيادة ضرار هو شجاعته النادرة ؛ وكان قد مارس الحروب في الجاهلية والاسلام مدة طويلة ، فأصبحت خبرته في مكايدة العدو ومعرفته اسهل الطرق للقضاء عليه مع ذكائه اللماح من العوامل البارزة لقابليته على اعداد الخطط العسكرية الصحيحة الدقيقة واعطاء القرارات السريعة السليمة ؛ كما أنه كان يطبق في معاركه بمقدرة فائقة مبدأ (المباغتة) أهم مبادىء الحرب على الاطلاق •

وكان بالاضافة الى كل ذلك ـ ذا ارادة قوية وشخصية نافذة ، يسبق النظر ويحسب لكل شيء حسابه ، يثق برجاله ويحبهم ويثقون به ويحبونه ، يتحمل المسؤولية الكاملة بلا خوف ولا تردد ، له ماض في البطولات مشرف ناصع •

ضرار في التاريخ :

يفخر الشعراء بضرار شاعرا مجيدا ، ويفخر الفرسان بضرار فارسا مغوارا ، ويفخر الابطال بضرار بطلا مقداما ؛ أما القادة فيفخرون به قائدا فاتحا ضم الى ربوع بلاد المسلمين منطقة واسعة لا تزال تدين بالاسلام •

رضي الله عن الشاعر الفارس، البطل الفاتح ضرار بن الخطاب القرشي الفهري•



تصدرها رئاسة أركان الجيش

مديرية التدريب العسكرى

العدد ١ كانون الثانى ١٩٦٤م ـ شعبان ـ رمضان ١٣٨٣هـ السنة ٤١

المحتويـات **الصفحة**



م. سرمد حاتم شكر

المجلة العسكرية

عدد ١

١٣٨٣ هجرية

١٩٦٤ ميلادية